31ES ASSISES DE LA TRADUCTION LITTÉRAIRE ATLAS

Atelier de traduction – Arabe : *Le Fou de la place de la liberté*, Hassan BLASIM

Dimanche 9 novembre 2014 / 9h00 – 10h45

Avec Yves GONZALEZ-QUIJANO

حسن بلاسم الإرشيف و الواقع (http://www.blasim.blogspot.fr/2010/09/blog-post.html)

لكل نزيل في محطة استقبال اللاجئين حكايتان. واحدة واقعية وأخرى إرشيفية. الحكايات الإرشيفية هي الحكايات التي يرويها اللاجئون الجدد من أجل حق الحصول على اللجوء الانساني. وتدون هذه الحكايات في دائرة الهجرة وتحفظ في ملفات خاصة. اما الحكايات الواقعية فتبقى حبيسة في صدور اللاجئين ليعتاشوا على ذكراها بسرية تامة. لكن هذا لايعني انه يمكن التمييز بسهولة بين حدود الحكايتين. فقد تختلطا ويصبح التمييز بين الحكايتين مجرد محاولة عبثية. قبل يومين وصل لاجئ عراقي جديد الى مدينة مالمو جنوب السويد. رجل نحيل في نهاية الثلاثين من العمر. ادخل الى محطة الاستقبال واجريت له بعض الفحوصات الطبية. ثم اعطوه غرفة وسرير ومنشفة وشرشف وصابون وملعقة وشوكة وسكين وقدر لطبخ الطعام. يجلس الرجل اليوم امام موظف دائرة الهجرة يروي حكايته بسرعة غريبة ، بينما موظف الهجرة يطلب منه ان يبطأ السرد قدر المستطاع :

أخبروني أنهم باعوني الى جماعة اخرى. كانوا فرحين جدا. ظلوا طوال الليل يشربون الويسكي ويضحكون. حتى أنهم دعوني لمشاركتهم الشرب.اعتذرت انا واخبرتهم بأنني رجل ملتزم بدينه. اشتروا لي ملابس جديدة وطبخوا لي في تلك الليلة دجاجة وقدموا لي الفواكه والحلويات. يبدو ان ثمني كان جيدا. حتى ان قائد المجموعة سكب دموعا حقيقية اثناء توديعي. عانقني مثل أخ: أنت رجل طيب للغاية... اتمنى لك كل الخير والموفقية في حياتك ، قال الرجل الاعور.
اظن انني بقيت مع الجماعة الاولى ثلاثة أشهر فقط. وكانوا قد إختطفوني في تلك الليلة الباردة والمشؤومة. حدث ذلك في بداية شتاء 2006. تلقينا التعليمات بالتوجه الى نهر دجلة. كانت هي المرة الاولى التي نتلقى فيها الأوامر مباشرة من مدير قسم الطوارئ في المستشفى. عند ضفة النهر كان رجال الشرطة يحيطون بست جثث من دون روؤس ، وكانت الروؤس قد وضعت في شوال طحين فارغ أمام الجثث. خمن رجال الشرطة بأن الجثث لرجال دين. كنا قد تأخرنا في الوصول بسبب الامطار الشديدة . كدس رجال الشرطة الجثث في سيارة الاسعاف التي يقودها زميلي أبو سالم وحملت انا الى سيارتي شوال الروؤس. كانت الشوارع خالية ولم يكن يخرق سكون ليل بغداد الموحش سوى اصوات رصاص في البعيد وصوت طائرة مروحية امريكية تدور فوق المنطقة الخضراء. انطلقنا عبر شارع أبي نؤاس بأتجاه شارع الرشيد، وكنا نسير بسرعة متوسطة بسبب الامطار ، ف(حين تحمل جريحا أو مريضا يحتضر، تكون سرعة سيارة الاسعاف هي الدليل على المسوؤلية الانسانية. اما حمل الروؤس المقطوعة في سيارة اسعاف فهو لايحتاج إلا الى سرعة عربة موتى تجرها البغال في غابة مظلمة من القرون الوسطى) هذا ماكان يردده علينا مدير شعبة الطوارئ في المستشفى. وهو رجل كان يعتبر نفسه فيلسوفا وفنانا ، لكنه (ولد في البلد الخطأ) على حد قوله. مع ذلك كان يحترم عمله ويعتبره من الواجبات المقدسة. فأدارة قسم سيارات الاسعاف في شعبة الطوارئ كان يعني لديه إدارة الخط الفاصل بين الحياة والموت. كنا نسميه ـ الاستاذ ـ وكان زملائي الاخرين يمقتونه وينعتونه بالمجنون. وأنا عرفت سبب المقت. فكلامه الغامض والعدائي جعله رجلا معقدا في نظر الاخرين. لكني كنت اكن له الكثير من الاحترام والمحبة بسبب حديثه الجميل والشيق. قال لي مرة : إن الدم المسفوك والخرافة هما أصل العالم. والانسان ليس هو الكائن الوحيد الذي يقتل من أجل الخبز أو الحب او السلطة ، فالحيونات في الغابة تفعل ذلك بشتى السبل ، لكنه الوحيد الذي يقتل بسبب الإيمان. وغالبا ما كان يختم حديثه بجملة مسرحية وهو يشير بيده الى السماء : لايمكن حل قضية الانسان الا بالرعب المتواصل. كان زملي أبو سالم يأخذه الظن بأن الاستاذ على علاقة بالجماعات الارهابية بسبب عنف كلامه. لكني كنت أدافع بكل إخلاص عن الرجل الذي لا يفهمون بأنه فيلسوف يابى أن يطلق المزح السخيفة كما يفعل طوال النهار سائقو سيارات الاسعاف الحمقى. كنت احفظ كل جملة وكلمة يقولها. فأنا كنت أسير محبته والإعجاب به.
اعود الى تلك الليلة الملعونة عندما انعطفنا بأتجاه جسر الشهداء. أنتبهت الى أختفاء سيارة الاسعاف التي يقودها أبو سالم ، ثم لمحت في المرآة الجانبية سيارة شرطة مسرعة تلحق بي. ركنت السيارة بدوري على جانب الطريق وسط الجسر. ترجل من سيارة الشرطة أربعة شبان ملثمين يرتدون زي قوات الشرطة الخاصة. أمرني قائد المجموعة بالترجل من السيارة وهو يوجه مسدسه في وجهي. بينما اخذ رفاقه الاخرون بأنزال شوال الروؤس من سيارة الاسعاف